

## القرآن وسؤال الحداثة بين المقدس والقراءة الأدبية

مُحَمَّد عابد الجابري وحسن حنفي نموذجاً

the qur'an and the question of modernity between the sacred and  
literary reading muhammad abed-aljabri and hassan hanafi as model

زينب بومهدي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة / الجزائر، z.boumahdi@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام : 2023/02/05 ؛ تاريخ القبول : 2024/02/09 ؛ تاريخ النشر : 2024/02/20

### Abstract

### الملخص

this study aimed to deepen the question of the study of the Holy Quran by the Arab modernists. by adopting the approaches of contemporary Western studies and how to apply them to the sacred text, and this through two intellectual models that had an opinion and a position on this subject, represented in the structural approach and study of the Koran of AL-JABRI and the phenomenological approach and the study of the heritage of HASSAN HANAFI.

تهدف هذه الدراسة إلى الخوض في مسألة تناول القرآن الكريم بالدراسة من قبل الحداثيين العرب وهذا باتخاذهم لمناهج الدراسات الغربية المعاصرة وكيفية تطبيقها على النص المقدس، وهذا من خلال نموذجين فكريين كان لهما رأي وموقف في هذا الموضوع، تمثلان في المنهج البنوي ودراسة الجابري للقرآن والمنهج الفينومينولوجي ودراسة حسن حنفي للتراث.

**Keywords :** Holy, Heritage, The holy quran, Modernity, Hassan Hanafi, Aljabri.

الكلمات المفتاحية: المقدس، التراث، القرآن الكريم، الحداثة، حسن حنفي، الجابري

## 1. مقدمة:

لا يختلف اثنان على أن القرآن الكريم من أهم الكتب عبر التاريخ التي حظيت بالدراسة والاهتمام، إذ منذ فجر الإسلام وضع القرآن تحت المجهر تأويلا وتفسيرا ودراسة، فكانت البداية مع القدماء من فقهاء ومفسرين حاولوا تفسير وشرح مضمونه واستخلاص القواعد الفقهية التي تتناسب مع أسئلة ذلك العصر، فألفت حوله آلاف الكتب، تلتها دراسة زعماء الإصلاح التي جاءت لثلاثة أسباب: أولها الرد على الدراسات الاستشراقية المسيئة للقران مكانة ومضمونا، وثانيهما باتخاذ مرجعا للإصلاح الديني وثالثهما بفتح باب الاجتهاد وجعل المجتمع الإسلامي مواكبا للتطور الحضاري دون التخلي عن أصالته.

لكن مع الحدائين اختلف الأمر لأن هؤلاء سيتخذون مناهج الدراسات الغربية المعاصرة ويعملون على تطبيقها في دراسة التراث، وهنا سيبرز تساؤل حول علاقة القرآن بالتراث، وهل تطبق عليه نفس المناهج التي طبقت في دراسة التراث خاصة و أن مضمون التراث كله دينيا ومتحكم في حياته المعاصرة في حين أن القرآن كلام الله ولا يسري عليه ما يسري على باقي النصوص البشرية.

انطلاقا من هنا طرح أهم سؤال في هذا الموضوع وهو هل القرآن جزءا من التراث وبالتالي يدرس على أساس أنه نصا أدبيا مثله مثل باقي النصوص الشعرية والأدبية، أم هو خارج التراث ومتعالى عليه لأن التراث إنتاج إنساني تدخلت فيه الكثير من العوامل، في حين أن القرآن الكريم هو نص مقدس، وعلى هذا الأساس سيكون الاختلاف وتضارب في الآراء، فمنهم من اعتبره نصا أدبيا يدرس ضمن التراث ومنهم من اعتبره نصا مقدسا مؤثر في التراث وليس جزءا منه وله طابعا من التعامل، ولقد اتخذنا في ورقتنا البحثية هذه وفي دراستنا نموذجين هما محمد عابد الجابري صاحب مشروع نقد العقل العربي، وحسن حنفي صاحب مشروع التراث والتجديد وهما من أبرز المشاريع الفكرية التي عالجت هذا الإشكال في الفكر العربي المعاصر. من هنا ستكون دراستنا هذه دراسة نقدية مقارنة نسعى من خلال هذه الورقة البحثية لمعالجة الإشكال التالي ما موقف حدائيو الفكر العربي المعاصر من القرآن؟ وما علاقته بالتراث؟ هل هو جزء من التراث أم هو خارج التراث؟ كيف تتم دراسته؟ وما مبررات ذلك؟.

## 2. من نقد التراث إلى دراسة القرآن:

لقد أشار الجابري في مقدمة كتابه "مدخل إلى القرآن"، إلى الأسباب التي جعلته يكتب عن القرآن الكريم، إذ بعد الانتهاء من سلسلة نقد التراث ونقد العقل العربي، أثير التساؤل حول الموضوع الذي سيكتب عليه عابد الجابري، وقد اعتقد البعض كما اقترح بعض الأصدقاء أن تكون الكتابة على فلسفة الجمال، لكن الجابري اختار دراسة القرآن، وذلك لسببين، حسب ما ذكره الجابري، السبب الأول هو " اقتراح صديق من السعودية ونحن على سيارته متجهين إلى عزيمة عشاء في منزل صديق مشترك بالرياض، اقترح قائلاً " لماذا يكون الكتاب المقبل في القرآن " ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 08 )، والسبب الثاني هو أحداث 11 سبتمبر ومما ترتب عنها من تشويه للإسلام .

كيف درس الجابري القرآن الكريم ؟ وهل يعتبر القرآن جزءاً من التراث أم هو خارج التراث ؟ و ما المنهجية التي طبقها في دراسته للقرآن الكريم ؟

يصرح الجابري في مستهل كتابه بأنه لا يعتبر "القرآن جزءاً من التراث...و في نفس الوقت- يؤكد /الجابري بأن- ...جميع أنواع الفهم التي شيدها علماء المسلمين لأنفسهم حول القرآن، سواء كظاهرة بالمعنى الذي حددناه هنا أو كأخبار و أوامر و نواه، هي كلها تراث" ( محمد عابد الجابري، ص 19 )، فكل التفسيرات والكتابات التي كتبت حوله هي تراث ديني، أما القرآن فهو ليس مصدراً بشرياً فهو وحي منزل مقدس فهو يخرج عن الإرث البشري .

ولقد خص الجابري للقرآن بخمسة كتب جعل أولها مدخل إلى القرآن بجزأين إذ خصصه للتعريف بالقرآن، أما الأجزاء الثلاثة الأخرى فخصصها لفهم وتفسير القرآن وذلك حسب ترتيب النزول، لا ترتيب السور في المصحف الشريف؛ فالوقوف على أسباب النزول هو يستهل كتابه مدخل إلى القرآن الكريم بالتعريف بالقرآن الكريم الذي عنوانه "بالظاهرة القرآنية وأسئلة الكون والتكوين" وهي كالاتي :

### 1.2. التعريف بالقرآن :

يعتبر الجابري التعريف بالقرآن أمراً مهماً رغم اعتقاد البعض بأنه لا يحتاج إلى تعريف، لكن الجابري يعتبر عمله مخالفاً وناقداً للتعريف السابقة، التي ركزت على ما هو مشهور في ثقافتنا

بأنه كلام الله ومقدس وانزل على خاتم النبيين بلسان عربي، أما الجابري فيعرفه من خلال القرآن نفسه فهو يضع حسب قوله جميع التعريفات "السابقة ومثيلاتها بين قوسين - لا ينبغي ولا يشتغل بها - واضعين مكانها تعريف القرآن نفسه بنفسه" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 13) .  
 ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وأنه لفي زبر الأولين﴾ ( سورة الشعراء، الآية: 192 ) و قوله ﴿وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ ( سورة الإسراء، الآية 106) .

## 2.2: مسار التكوين :

إن تفسير القرآن حسب الجابري، ليس بالنظر إليه كما هو موجود عندنا اليوم " كنص بين دفتي المصحف بل من محاولة فهم المراحل التي قطعها منذ بداية نزوله حتى أصبح كما هو الآن في المصحف" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 13)، ذلك أن القرآن جاءت سوره مقرونة بأسباب النزول وهي الركيزة التي ستساعدنا في تفسير وفهم السور، فأسباب النزول هي تأريخ لهذه السور ولوقائع نزل القرآن الكريم للفصل فيها وهو ما يجب الوقوف عليه .  
 ولقد اهتم المستشرقون من قبل بدراسة القرآن وأسباب النزول، لكن الكثير منهم لم تكن موضوعية حسب الجابري، وهذا فإن الاهتمام بأسئلة مسار تكوين القرآن أمر بالغ الأهمية، إذ " نجد أنفسنا اليوم مطالبين بتجديد طرح كثير من الأسئلة التي طرحت سابقا، وفسح المجال لأسئلة أخرى قد تطرحها اهتمامات عصرنا الفكرية والمنهجية " ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 19) ؛ فهي دراسة تجعلنا معاصرين للظاهرة القرآنية، وتجعلها معاصرة لنا، ويقصد بالظاهرة القرآنية هي القرآن، وما نشأ حوله من "أنواع الفهم والتصورات التي شيدها/المسلمون، لأنفسهم قصد الاقتراب من مضامينه و مقاصده" (محمد عابد الجابري، 2007، ص 16) .

## 2.3 أبعاد الظاهرة القرآنية:

ميزة الظاهرة القرآنية حسب الجابري هي الجمع بين نوعين من الآيات آيات زمانية وآيات لا زمانية، ويضرب لنا مثلا بقوله تعالى " وأنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وأنه لفي زبر الأولين" ( سورة الشعراء، الآية: 192 )؛ إذ يعتبر أن قوله تعالى " بلسان عربي مبين" يشير إلى تاريخ محدد هو تاريخ النزول، أما قوله "إنه لفي

زير الأولين" فهي تشير إلى الكتب السماوية السابقة، فالزمن هنا غير محدد لاستمرار رسالة التوحيد إلى يوم الدين؛ و للظاهرة القرآنية ثلاثة أبعاد وهي: " بعد زمني يتمثل في علاقتها بالرسالات السماوية، وبعد روحي يتمثل في معاناة النبي لتجربة تلقي الوحي، ثم بعد اجتماعي دعوي يتمثل في قيام النبي بتبليغ الرسالة وما ترتب عن ذلك من ردود الفعل" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 17).

### 3. حول المصادر وتعدد الروايات :

يعتبر الجابري أن كل ما كتب عن الظاهرة القرآنية، سواء كان عربياً أو غير عربي فإنه محل اهتمام ولا يمكن استثناءه، وتعدد الروايات واختلافها بالنسبة للجابري" لا يطعن في الحقيقة بل هو دليل على أن ثمة فعلاً حقيقة يجب إعادة بنائها" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 18 ) .

#### - التجربة الروحية... كمعاناة مع المطلق:

يعتبر الجابري دراسة الظاهرة القرآنية، لا نتعامل فيها مع مادة جامدة بل نحن أمام تجربة روحية تتمثل في " معاناة مع المطلق تقع وراء الحس والمحسوس والعقل والمعقول... وغني عن البيان القول أن تجربة النبوة هي أعلى قمم التجارب الروحية" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 19 )، هذه المعاناة وصفت في القرآن، من خلال ردة فعل الخصوم حول هذه المعاناة، إذ هناك من يصفها بالسحر أو الكهانة أو الجنون أو الكذب ويلخصها القرآن في قوله تعالى ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ ( سورة الأنبياء، الآية : 05 ) .

#### - القرآن بوصفه معاصراً لنفسه و معاصراً لنا:

إن الهدف الأساسي الذي يسعى إليه الجابري في قراءته للظاهرة القرآنية، هو جعل القرآن معاصراً لنا، إذ "من ركائز هذا المنهج/الرؤية جعل القرآن معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا في الوقت نفسه، و لما كان الأمر يتعلق هنا بالقرآن، فإن أحسن طريق إلى تطبيق هذا المنهج/ الرؤية، في التعامل معه هو في نظرنا ذلك المبدأ الذي نادى به كثير من علماء الإسلام مفسرين وغيرهم، وهو أنّ القرآن يشرح بعضه بعضاً" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص 71 )، وهو المبدأ الذي يركز عليه الجابري ، فهو سيعتمد تفسير ما هو مطلق أي أزلي بالقرآن نفسه، أما ما دلّ على النسبية

والتاريخية فيرده إلى ترتيب وأسباب النزول و بالتالي سيتم الرجوع إلى مجمل الروايات والاجتهادات حتى نصل إلى تفسير وفهمه.

كما تناول العديد من المسائل التي اختلف النقاش حولها، كمسألة النبي الأمي التي يرفضها تماما ويعطي تفسيراً آخر لها ، فالأمي لا تعني أنه لا يقرأ ولا يكتب إذ قوله الرسول صلى الله عليه وسلم "ما أنا بقارئ" لا تعني نفي القراءة ، وإنما ماذا أقرأ ، فهي رد على أوه بالقراءة" أي استقهام يفيد ضمناً أن النبي يعرف القراءة، فهو يطلب ماذا يقرأ؟ أما الطبيعة ما أنا بقارئ...فهي نفس المعنى، بصورة عكسية أي... حملها على الاستقهام على اعتبار الباء زائدة؟" (محمد عابد الجابري، 2007، ص71) وبالتالي ينفي صفة الأمية على الرسول صلى الله عليه وسلم.

إنّ التفسير الذي قدمه الجابري للسور يختلف عن ما سبقه من التفسير، إذ يرصد في البداية "الموضوع العام الذي تتحرك فيه، والخاتمة تستعيد هذا الموضوع نفسه وترتفع به إلى مستوى أعلى، وبين المقدمة والخاتمة يتسلسل تحليل الموضوع إلى أجزاء يستعمل في بعضها الأسلوب الإقناعي الجدلي المباشر" (محمد عابد الجابري، 2009، ص 87) .

كما يمكن أن نجد حسب الجابري أساليب أخرى غير الجدلي الإقناعي وهي، الوعد والوعيد أو الترغيب والترهيب أو ضرب المثل سواء في بيئتهم الاجتماعية أو في مخزونهم الثقافي العام، وبالتالي فإن التحليل العام والتفسير يتم وفق منهجية (مقدمة تحليل خاتمة) كما أنه يناقش بين السورة والأخرى مواضيع ذات صلة كمسألة الناسخ والمنسوخ في القرآن.

لقد اتبع الجابري تفسير القرآن في أجزائه الثلاث الأخيرة بعد أن خص الجزء الأول للتعريف بالظاهرة القرآنية، ومواضيع ذات صلة سبق ذكرها أما التفسير فركز عليه على ترتيب الآيات حسب النزول و ليس كما رتب في المصحف؛ وذلك لأن الشرح يتم بما ورد في النص القرآني من جهة، وما ورد من الروايات الصحيحة، هكذا يربط الآيات والسور بأسباب النزول، وبهذا يتسنى لنا فهم السياق العام الذي نزلت فيه السورة ، وما ترتب عنها من قيم ومعاني وأحكام في حياة المسلمين، خاصة ما ورد منها كقصص إذ يعتبر الجابري بأنّ "الترتيب حسب النزول قد مكنتنا من التقيد بعرض القصص القرآني كما هو فعلا في القرآن، والأهم من ذلك قد سمح لنا بالتعرف على المنطق

الذائلي الذي يحكم طريقة العرض" ( محمد عابد الجابري، 2007، ص390 ) ، ولهذا كان تقسيم السور حسب الترتيب النزول وتم وضع ثلاث أجزاء لتفسير ذلك .

الجزء الأول كان قد خصصه لاثنتي وخمسين سورة (52) قسمها إلى ثلاث مراحل حيث وضع لكل مرحلة عنواناً لوحدة الموضوع الذي تشمله.

المرحلة الأولى تشمل سبعة وعشرين آية وهي:(العلق، المدثر، المسد، التكوير، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، الشرح، العصر، العاديات، الكوثر، التكاثر، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الإخلاص، الفاتحة، الرحمان، النجم، عبس، الشمس، البروج، التين، قريش) فهذه السور لديها وحدة موضوع واحد وهو " النبوة و الربوبية والألوهية" إذ تتميز السور هنا بالقصر، توجه الخطاب فيها "أساساً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ويكاد مضمونها يختص به ،إمّا بالحديث إليه أو عنه، وإمّا بالرد على خصومه المكذبين برسالته، ومن أبرز ما تتميز به السور بالنسبة لموضوعنا هنا استعمال اسم الرب " (محمد عابد الجابري، 2008، ص 18) .

ويورد الجابري العديد من الأمثلة في الآيات التي استعمل فيها اسم الرب،" اقرأ باسم ربك" (العلق)، "وربك فكبر" (المدثر)" سبح اسم ربك " (الأعلى) " ابتغاء وجه ربك" (الليل)...الخ إذ " النبوة و الربوبية و الألوهية ثلاث محاور يتحرك فيها الخطاب القرآني في المرحلة الأولى" ( محمد عابد الجابري، 2008، ص 19) .

أما المرحلة الثانية فهي تشمل اثنتا عشر سورة وهي (القارعة، الزلزلة، القيامة، الهزعة، المرسلات، ق، البلد، بقية سورة العلق، بقية سورة المدثر، القلم، الطارق، القمر) ، حيث تميزت هذه السور بالتركيز على محور البعث والجزاء أما أسلوب الخطاب فكان بالتأكيد على النبوة وصدق الدعوة وإثبات وجود الله من جهة "وتأكيد البعث ورسم مشاهد متنوعة لقيام الساعة وما يتلوها من حساب فتواب أو عقاب، إن الأمر يتعلق بالانتقال من خطاب التسلية والتثبيت والتعامل مع قريش بأسلوب " إياك أعني واسمعي يا جارة" إلى خطاب الوعد والوعيد وتحميل المسؤولية" (محمد عابد الجابري، 2008، ص 131) .

أما المرحلة الثالثة فيعنونها ب "إبطال الشرك وتسفيه عبادة الأصنام" وتشمل خمسة عشر سورة وهي(ص، الأعراف، الجن، يس، الفرقان، فاطر، مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص، يونس، هود، يوسف) ، وحدة موضوعها هي ما ميّز ظروف نزول هذه السور إذ توتر العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش ما جعل هذه المرحلة تكون موجهة لمحاربة الأصنام فكانت " معركة قوية ضد الشرك وعبادة الأصنام" ( محمد عابد الجابري، 2008، ص 197). أما الجزء الثاني فقسمه إلى ثلاث مراحل، إذ يتم الترتيب العددي للمراحل بربطها بجزئها الأول، فالمرحلة الأولى من هذا الكتاب هي المرحلة الرابعة ويضع بها خمسة سور عنوان موضوعها الرئيسي " الصدع بالأمر والاتصال بالقبائل" وهي( الحجر، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ)؛ إذ بعد التضييق على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأتباعه بالعزل والطرده من بيوتهم نتيجة ما ميز المرحلة الثانية من هجوم على الشرك والأصنام ، تأتي المرحلة الرابعة، وهي أمر الرسول أتباعه بالهجرة إلى الحبشة ، وهنا انتقلت الدعوة خارج مكة إلى جانب أن قريش بأمر من زعمائها أبرزهم أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة ، قامت أثناء موسم حج القبائل إلى الكعبة بتحذير من الرسول صلى الله عليه وسلم، وإدعاءاته واعتبرته ساحرا وكان "من نتائج ذلك أن انتشر خبر الرسول عليه السلام من خلال ذلك الموسم في بلاد العرب كلها" ( محمد عابد الجابري، 2008، ص 27 ) .

المرحلة الخامسة عنونها ب " حصار النبي وأهله في شعب أبي طالب وهجرة المسلمين إلى الحبشة"، وتضم ثمانية سور وهي(الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأخلاق) إن ما قدمته قريش دون قصد بالتعريف بالرسول بكونه ساحر والتحذير الذي وجهته للقبائل انعكس سلبا عليها ، إذ بدأ الناس يتساءلون عن سر هذا الرسول والاتصال به هذا ما جعل قريش " تترك أن أمر محمد لم يعد محصورا في مكة، وأن الإسلام أخذ يطرق أفاق جديدة لم تكن في الحسبان فخططوا لمواجهة هذا التطور الجديد" ( محمد عابد الجابري، 2008، ص 85 ) وذلك بعزل الرسول صلى الله عليه وسلم و أتباعه في شعب مكة.

المرحلة السادسة عنونها ب " ما بعد الحصار" وتضم خمسة وعشرين سورة وهي( نوح، الذاريات، الغاشية، الإنسان، الكهف، النحل، إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، المعراج، النبا، النازعات، الانفطار، الانشقاق، المزمل، الرعد، الإسراء، الروم، العنكبوت،

المطففين، الحج) حيث جاءت هذه الآيات تصب في الأحداث التي وقعت بعد الحصار، إذ شهد وفاة عمه و زوجته خديجة، هذان الشخصان اللذان لعبا دورا هاما في حماية الدعوة المحمدية، ولكن هذه المرحلة شهدت أيضا زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من سوده ثم عائشة، وأيضاً حدثت بيعة العقبة الأولى ثم جاءت بيعة العقبة الثانية في موسم الحج وكان ذلك بيثرب و" يضم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين من المسلمين" ( محمد عابد الجابري، 2008، ص181) ، تلتها حادثة محاولة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم تم هجرته.

أما الجزء الثالث عنونه بمرحلة واحدة " وهي الرسول في المدينة" وتضم أربعة وعشرين سورة وهي ( البقرة، القدر، الأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، الحديد، محمد، الطلاق، البينة، الحشر، النور، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، التغابن، الصف، الجمعة، الفتح، المائدة، التوبة، النصر) هذه السور كلها نزلت بعد الهجرة، واهتمت بأمر التشريع، والتأسيس للحياة المدنية. والجدير بالملاحظة أنه لا يمكن الفصل بين الأجزاء الأربعة لمؤلفات الجابري في نقد وتكوين العقل العربي، وبين أجزائه الأربعة حول تكوين وتفسير القرآن، إذ القرآن نزل بلسان عربي وهو من ركائز الحقل البياني ويحمل رسالة التوحيد وبالتالي " يتحدد التوحيد بمنطق التجربة والعقل ويطرحها بصورة بيانية ويتحدد اللامعقول بالشرك الذي يتحلل من الأسباب الطبيعية والمقدمات المنطقية، ويطالب بالمعجزات المخلة بنظام الطبيعة والمعطلة للأسباب" ( محمد عابد الجابري، وجيه قانصو، 2012، ص325) فهو يمثل حسب الجابري الجانب العقلاني في الخطاب البياني.

إن موقف الجابري من الدراسات الاستشراقية حول القرآن يتجلى من خلال تجنب هذه الدراسات لأنه اشترط في دراسته أن جعل القرآن معاصرا لنفسه مما يعني تركيزه على بيئة ونص البحث من خلال تفسير القرآن بنصوصه وما صح من الروايات، أما " بيئة وفضاء وإشكالية البحث - الدراسات الاستشراقية فإنها "... تنطلق على نصوص التوراة والإنجيل ولا تنطبق على القرآن" ( محمد عابد الجابري، 2012، ص 329) فظروف جمع و تدوين الإنجيل و التوراة و صدق ما دون لا ينطبق على كيفية تدوين القرآن إذ الوضع يختلف تماما" فمن جهة لم يكتبه الشخص الذي أوحى إليه به، محمد عليه الصلاة والسلام ، بل كان يتلقاه "قراءة" و يبلغه قراءة، ومع أنه اتخذ كتابا يكتبون ما يقرأ

عليهم ؛ فإن المرجع في مسألة حفظه من الضياع كان بالدرجة الأولى هم قرأوه، أي اللذين يحفظوه على ظهر قلب" (محمد عابد الجابري، 2007، ص 15)، فمسألة التدوين والحفظ تمت في عصر الرسول والصحابة الذين يحفظونه والكتاب وحتى جمعه كان بحضور الصحابة والكتاب لذا لا يوجد فيه طعن من ناحية الصدق ومسألة التدوين.

أما مسألة تدوين الإنجيل و التوراة فالأمر يختلف إذ سيدنا موسى " عليه السلام الذي أوحى الله إليه بأن يكتب أول سطر للكتاب المقدس يدعى " التكوين " ثم واصل كتابته بالوحي أربعون كتابا من جميع طبقات البشر واستغرقت كتابته ألف وستمئة سنة، أما الإنجيل فهو ليس كتابا واحدا بل أربعة كتب على الأقل تروي ما حصله أصحابها من كلام السيد المسيح و سيرته " ( محمد عابد الجابري، 2007، ص15 ).

#### 4. حسن حنفي والقراءة الحداثية للقرآن:

إن دراسة القرآن عند حسن حنفي هي تجاوز وهدم حسبه لتفسيرات تقوم على التفسير اللغوي وتحليل الخطاب وإعادة بناءه من خلال نظرية في التفسير " على تسليط الواقع على النص وتسلط النص على الواقع، فيما يعرف بمنهج "تحليل المضمون" بعد إكماله وعدم الاكتفاء باللغة وتحليل الخطاب، بل إضافة الواقع الإحصائي عليه حتى يحدث التطابق بين الخطاب و الواقع بين النص والتجربة" ( حسن حنفي، 2021، ص11) ؛ فالهدف من التفسير هو إعادة " بناء النص موضوعا حول الإنسان والمجتمع و العالم، بدل من تقطيعه صوتيا وتكرار موضوعاته من "الفتاحة" إلى "الناس" وهذا يبرز النص مستجيبا لحاجات الناس وتبرز حاجات الناس سائلة النص" ( حسن حنفي، 2021، ص11) ، أي أنسنة التفسير وجعل الإنسان محور التفسير بالعودة إلى الواقع وجعل النص يستجيب للواقع وليس العكس.

#### 1.4- تفسير القرآن عند حسن حنفي:

##### 1.1.4 الخلفية الفكرية والمنهج المتبع في تفسير القرآن الكريم:

يعد حسن حنفي منذ البداية بأن الاتجاه الفكري الذي يتبناه هو اليسار الإسلامي، وهو ليس فقط "اتجاها فكريا إسلاميا واجتماعيا وسياسيا تقديما يجمع بين الماضي والحاضر بين الأصالة

والمعاصرة، بين التراث والتجديد مثل كل الحركات الإصلاحية، بل هو أيضاً نظرية أو منهج في التفسير يجمع بين النص والمصلحة، بين مقاصد الشريعة المستقرأة من الأصول وتفعيلها في الواقع المعاش في الزمان والمكان" (حسن حنفي، 2021، ص11) ، ويقوم منهج التفسير الجديد للقرآن من وجهة نظره على " أربعة قواعد أسوة بقواعد المنهج عند ديكرت أو بيكون" (حسن حنفي، 2021، ص 13) .

فالغاية إذن " تحويل العلوم النقلية إلى علوم عقلية يتم حولها الحوار، والعلوم النصية إلى علوم فلسفية" (حسن حنفي، 2014، ص12). وهي :

**1- الشعور:** ويقصد به الوجدان أو الانفعال أو " ما يشعر به الناس سواء على مستوى الشعور أو اللاشعور، والشعور هو إحساس الإنسان ومشاعره التي يصورها الأديب ويعبر عنها المفكر و الفنان "استقت قلبك وان أفتوك" (حسن حنفي، 2021، ص13).

**2- رصد حاجات الناس ومصالح الأمة كواقع إحصائي:** وفي رصد الحاجات يجب التركيز على " من يملك ماذا؟ من يستهلك ماذا؟ من يسيطر على ماذا؟ ومن يقهر ماذا؟ فلماذا يبعد الدين عن الحياة ولا يلبي القرآن المطالب الرئيسة للعصر" (حسن حنفي، 2021، ص13) فهو مساءلة للنص لمعرفة الأسباب التي يعيشها الإنسان في الواقع؛ فالأولوية للواقع وليس للنص " فالواقع مادة والنص صورة" (حسن حنفي، 2021، ص13) فحياة الناس وحاجاتهم ومتطلباتهم من خبز وماء وإسكان ولباس وتعلم وعلاج وعيش كريم هو مادة التفسير الأولى حسب رأيه.

**3- علاقة الذات بالموضوع:** ويقصد بها التفاعل بين الشعور والواقع وهي القاعدة الثالثة وتعني كذلك تحويل هذا الشعور والتفاعل إلى مشروع أو رؤية أو برنامج عمل، وبالتالي تتحقق التنمية والأهداف المرجوة من التفسير واقعياً، فتتحقق الحرية ضد الاحتلال، و وحدة الأمة ضد التجزئة، والطائفية، والقضاء على العرقية والقبلية والفقر وتحقيق العدل و المساواة وإرساء الديمقراطية بدل التسلط ... الخ كلها أهداف تنتج عن طريق إعطاء الأولوية للواقع.

**4- التجربة المشتركة:** ويعني بها إشراك القارئ في تفسيره " واشترائه في التفسير إلى أي حد يعبر عن حاجاته ويلبي مطالبه ويحقق أمنياته، ويقضي على حرمانه وينهي سلبياته ويشركه في إعادة

بناء ثقافته الوطنية وإعادة تفسير كتابه ( القرآن ) ... للقضاء على ازدواجية الخطاب والشخصية والفصام بين القول والعمل دفاعا عن الصدق في القول والإخلاص في العمل، فإذا وعي القراء فإنهم يتحولون إلى وعي جمعي وكتلة تاريخية تساهم في عملية التغيير الاجتماعي" ( حسن حنفي، 2021، ص14 ) .

وبهذا نتخلص حسب حسن حنفي من نوعين من الخطاب الديني الأول هو ذلك الخطاب المعتمد على النصوص وتفسيرها خارج الزمان والمكان، خاصة لو كانت نصوصا عقائدية شعائرية خالصة أو نصوصا تتعلق بالآخرة ووظيفتها الترويح على النفس ... أما الخطاب الثاني فهو خطاب اجتماعي علمي، يعمل على تحليل الواقع الاجتماعي الإحصائي وهذا بدعوى الالتزام بالموضوعية وكذا إعطاء الحقائق على الأرض كما هي دون تأويل ذاتي أو توجيه أيديولوجي ( حسن حنفي، 2021، ص14 ) .

إن رجل الدين المستنير هو الذي ينتقل من النص إلى الواقع، ومن كلام الله إلى أوضاع البشر وهذا حتى يكون خطابه أكثر دلالة و واقع عند الناس وله صدق في حياتهم وهذا ما تم توضيحه في القواعد الأربعة السالفة الذكر، وما يلاحظ على هذه القواعد أنها مستقاة ومستوحاة من المنهج الظاهراتي " الفينومينولوجي" الذي يهدف إلى " إرجاع الأشياء إلى أصولها وتخليصها من الأحكام العالقة بها عبر الشعور، لذا يقوم هذا المنهج بإعادة الموضوع المدروس إلى الشعور عن طريق الدراسة الوصفية للمعطيات و الوقائع كما تبدو لهذا الشعور" ( إدريس الإدريسي، 2022، ص37).

#### 2.4. من النقل إلى العقل والمنهجية المتبعة لدراسة القرآن:

لقد اختار حسن حنفي عنوانا جامعاً لدراسة العلوم النقلية الخمسة " القرآن، الحديث، التفسير، السيرة، الفقه" وهو من النقل إلى العقل، وخص دراسة القرآن بالجزء الأول منه؛ ومن العنوان الجامع يتضح الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من دراسته لهذه العلوم هو سعيه إلى جعلها " علوما واقعية خالصة كما تحولت العلوم النقلية الأربعة التي تمت إعادة بنائها إلى علوم عقلية من قبل إلى علوم عقلية واقعية خالصة أخذاً بالتدرج في مهام الأجيال حتى يتعود الناس على أعمال النظر

فيها" (حسن حنفي، 2014، ص12). فالغاية إذن هي تحويل العلوم النقلية إلى علوم عقلية يتشكل حولها الحوار الفكري والنقدي كما يتم تحويل العلوم النصية إلى علوم فلسفية.

يأخذ حسن حنفي القرآن في كتابه من النص إلى الواقع بمصطلح " التجربة الإنسانية العامة"، ومن هنا نفهم أن القرآن الكريم هو مجموعة من التجارب الحية التي يمكن أن تتكرر في حياة البشر وهو ما عبر عنه في هذا القول: " المهم هو صدق المتن وتطابقه مع التجربة الحية التي يشعر بها كل قارئ ومستمع، هو نوع من الوحي المباشر، وكأن القرآن قد أنزل على القارئ أو السامع في التو واللحظة، فالقرآن مجموعة من التجارب الأولى التي يمكن أن تتكرر في حياة البشر، الصدق هنا ليس عن طريق السند بل عن طريق المتن، وليس عن طريق اللغة؛ قراءة وكتابة، ولكن عن طريق الحدس المباشر" (حسن حنفي، 2014، ص203 )

ويعتبر حسن حنفي الدراسات والتفسيرات السابقة للقرآن مجرد تفسيرات لغوية تعتمد على تفسير الآيات عن طريق شرح المفردات من المعاجم والاستدلال بالحديث والأقوال من حكم ومقاطع من الشعر، وكل ذلك مجرد شروحات بعيدة عن أعمال بعض العقل في علوم القرآن وأكثرهم شهرة "البرهان للزركشي ( 794م) و "الإتقان" للسيوطي ( 911م) إذ كانوا أكثر جرأة وشجاعة في تناول حوامل الوحي وليس فقط المحمول، والحوامل هي اللغوية والمكانية و الزمانية والاجتماعية والتاريخية والثقافية، الحامل هو الجسد والمحمول هو الروح" (حسن حنفي، 2014، ص19).

ومن هذا المنطلق يبرر حسن حنفي دراسته للقرآن وعلومه باعتباره نصا قابلا للدراسة والمساءلة وليس نصا مقدسا، فالقرآن نزل وحيا ولم ينزل مدونا، فالتدوين عمل إنساني وبالتالي هو جزء من التراث وليس خارجا عنه " فالوحي المقدس هو العلم الإلهي وحده قبل التدوين ، ومنذ تدوينه في اللوح المحفوظ بصرف النظر عن لغته أصبح مدونا في اللغة والزمان والمكان، له حوامله المخلوقة" (حسن حنفي، 2014، ص21) ؛ إن تدخل عمل التدوين في القرآن جعله عملا إنسانيا ونزع عنه هالة التقديس إذ " منذ نزول جبريل به في ذهنه واللغة العربية التي تكلم بها وسمعها الرسول، وقد يعين الوحي أكثر فأكثر، حتى فهم الرسول له ثم فهم الناس الرسول بعد سماعه منه،

ففي كل مرحلة يزداد التعيين، وتكثر الحوامل وتبتعد عن المحمول الأول وهو كلام الله الإلهي" (حسن حنفي، 2014، ص21) .

ومما ذكرناه آنفا فإن حسن حنفي يعتبر علوم القرآن موضوعا للدراسة وليست موضوعا للتقديس ودليله في ذلك هو أن " علوم القرآن تجعل القرآن موضوعا للعلم وتخضع الوحي إلى منطق النزول ومعرفة حوامله اللغوية لأن اللغة كانت العلم الأول من القدماء مثل العلوم الإنسانية عند المحدثين" (حسن حنفي، 2014، ص21) . كما يعتبر دراسته من النقل إلى العقل هي دراسة للوحي لأول مرة ليس باعتباره محمولا وإنما باعتباره حاملا، فكما أن لا نفس بلا بدن فكذلك المحمول لا يوجد بلا حامل له، ولهذا جعل عنوانا ثانيا لكتابه من النقل إلى العقل وهو ( من المحمول إلى الحامل ) فدراسته للوحي هي دراسة حامل الوحي وهي ثلاثة تتوزع بين الحوامل الموضوعية (التاريخ) والحوامل الموضوعية الذاتية ( الرواية ) والحوامل الذاتية ( اللغة ) وفيما يلي تفصيل لها:

#### 1.2.4 - الحوامل الموضوعية:

ويحدد هذه الحوامل في ثلاثة أمور هي: المكان والزمان و البيئة الاجتماعية " فالوحي وبهذا المعنى ظاهرة تاريخية يظهر في التاريخ ويتجلى فيه، والتاريخ هو الواقع و المكان والزمان والمجتمع والبشر، فلا محمول بلا حامل، ولا حي بلا جسد يتحقق فيه الوحي، فالوحي ليس طائرا في الهواء، بل يهبط على الأرض ليستقر فيها كما يستقر الماء فتهتز وتربو وتنتج من كل زوج بهيج" (حسن حنفي، 2014، ص51) ؛ ونظرا لاستعمال مقولة الواقع من قبل في " من النص إلى الواقع" وحتى تتعدد المفاهيم من حقل دلالي واحد إلى حقول دلالية مختلفة ، والحوامل الموضوعية (التاريخ ) ثلاث كما ذكرنا آنفا وهي:

- **المكان:** ويعني به " التجمع البشري قبيلة أو رهط أو القوم أو الشعب أو المدينة وكلها مفاهيم قرآنية" (حسن حنفي، 2014، ص52 ) فلقد نزل الوحي بمكة وهو مكان تميز بوجود الكعبة وهو ذا قيمة و مكانة اجتماعية مميزة، والمكان لديه أيضا بعدا في التفسير من خلال التمييز بين السور المكية والمدنية من حيث الموضوع وكذا المضمون.

- **البيئة الاجتماعية:** ويعني بها " كيفية النزول أول وآخر وزمن النزول والتنجيم والقصص والتوجه السياسي، والنزول بالمعنى والحرف، وتكرار النزول وتأخره عن الحكم والأنبياء من يتم عليهم

النزول؛ وتعني البيئة الاجتماعية المجتمع الصغير أو الكبير الذي نزلت فيه الآية لحل مشاكل والردود على أسئلته والاستجابة لمطالبه" (حسن حنفي، 2014، ص61) فبدون معرفة البيئة الاجتماعية و أسباب النزول لا يمكن تأويل وفهم الآية.

- الزمان: ويقصد بالزمان " الناسخ والمنسوخ، إلغاء الحكم السابق بحكم لاحق بعد فترة زمنية من أجل تعديل الحكم وإعادة تكييفه طبقاً لتجربة الأولى تخفيفاً وهو الغالب أو تشديداً وهو الأقل" (حسن حنفي، 2014، ص113) وللناسخ والمنسوخ أهمية في إبراز تدرج الأحكام وعلاقتها بالواقع.

#### 2.2.4. الحوامل الموضوعية الذاتية ( الرواية ):

يقصد حسن حنفي بالحوامل الموضوعية الذاتية " التي تجمع بين الموضوع وهو المحمول والذات أي الجانب الشعوري الذاتي وهي الرواية، فالوحي رواية وخبر وإخبار وإعلان، والرواية قص إنساني، الرواية سماع بالأذن، وحفظ بالذاكرة وأداء باللسان" (حسن حنفي، 2014، ص61) وهي متكونة من ثلاث عناصر هي:

-الخبر: ما الذي يعنيه حسن حنفي بالخبر؟ في كتابه من النقل إلى العقل يقدم لنا تعريفاً للخبر إذ يقول: " فالخبر هو الأخبار، والحدث هو روايته، والرواية أكبر من الخبر، الرواية كل، والخبر جزء، والرواية بها متن وسند كما هو الحال في علم الحديث، في حين أن الخبر مجرد المتن و الإعلان و الرسالة" ومنه تصبح دراسة الخبر هي بضرورة دراسة للمتن من أجل إثبات صحة وسلامة ما تم نقله.

-القراءة: إذ تم وضع قواعد لضبط النقل الشفاهي وهذا بعد أن اتسعت الأفاق وتداخلت اللهجات كما ظهر علم القراءات كمنطق شفاهي للنص وهذا قبل ظهور التدوين والتنقيط وكذا التشكيل. ومن خلال هذه القواعد وكيفية وضعها يتم الفهم الصحيح للنص، وتتعدد القراءات طبقاً للهجات المدن والأمصار، ولكل قارئ أو مجموعة من القراء مدينة ينتسب إليها ، وبناء على تعدد القراءات تختلف التفاسير .

-التدوين: المقصود بالتدوين هو " تحويل النص الشفاهي إلى نص مكتوب، والصوت إلى الحروف والقراءة إلى الكتابة وهو منطق النص القرآني المدون من الحروف والألفاظ" (حسن حنفي، 2014،

ص218)؛ فالوحي نزل شفاهيا وتم تدوينه ليتحول حسب حسن حنفي من نص شفهي مقدس إلى نص وإنتاج إنساني ينتمي إلى التراث يتم دراسته والتعامل معه كأبي نص تراثي دون تقديس، فمثلا ترتيب السور " ليس مثبتا مسبقا في اللوح المحفوظ بل فعل بشري خالص" (حسن حنفي، 2014، ص232) .

#### 3.4. الحوامل الذاتية ( اللغة ):

يقصد حسن حنفي بالحوامل الذاتية ما تلعبه الذات العارفة من دور في تلقي الوحي وكذا فهمه وإعادة التعبير عنه ومن ثم إيصاله إلى الغير، "الوحي هنا مجرد خطاب إلى المخاطب أو رسالة إلى مرسل إليهم، وهو المعنى المعاصر للخطاب كعالم مستقل بذاته عن حوامله الموضوعية مثل المكان والزمان والبيئة الاجتماعية أو الموضوعية الذاتية والقراءة والتدوين" (حسن حنفي، 2014، ص241) ، فالقرآن كما ذكرنا سابقا موضوعا للدراسة وليس موضوعا للتقديس وأهم حامل للقرآن هو الحامل اللغوي " ولما كانت اللغة أحد العلوم الإنسانية أصبح القرآن موضوعا للعلوم، وإذا كانت اللغة هي الحامل الرئيسي للنص عند القدماء فإن العلوم الاجتماعية هي الحوامل الرئيسية عند المحدثين، لم نعد في عصر اللغة بل في عصر العلوم الإنسانية" (حسن حنفي، 2014، ص241) ؛ وهنا يحدد حسن حنفي لدراسة هذا الحامل ثلاث عناصر هي:

-**اللفظ و المعنى:** فلا يمكن أن يؤدي التأويل دوره إلا بالتحكم في اللغة والإمام بمعانيها وألفاظها لأن اللغة تشمل موضوع اللفظ والمعنى وهذا ما نجده " في مباحث الألفاظ عند الأصوليين وفنون القول وأساليب البلاغة وإعجاز القرآن، وأخيرا التفسير والفهم والتأويل كمقدمة لعلم التفسير، وقد تصل مباحث اللغة إلى حد التخصص بحيث تصبح غاية في ذاتها وليست مجرد وسيلة من علوم القرآن فتتشعب وتصبح موضوعا لغويا بذاتها" (حسن حنفي، 2014، ص241) .

- **أساليب البلاغة:** إن الأسلوب الذي تميز به الوحي في البلاغة والخطاب يجعل منه قوة في التأثير " إذ هو قول بليغ للتأثير في المتلقي وله وجوه متعددة للخطاب طبقا لأنواع الخطاب في اللغة العربية، هو فن من فنون القول وأسلوب من أساليب البلاغة ومن هنا أتى الإعجاز العلمي ومنافسة الشعر ، وهو تعبير وإيصال مثل الفن تماما، هو عمل فني شعري يعتمد على أساليب البلاغة لذلك

أثر في العرب وهم أهل فصاحة وبيان" (حسن حنفي، 2014، ص277) والإمام بالتفسير يلزمه إمام بأنواع الخطاب في اللغة وأساليب البلاغة وهذا ما عرف به المفسرون.

-التفسير: إن عملية التفسير هي المرحلة الأخيرة في مسار القرآن الكريم إذ بعد أن تم تدوينه ووضع قراءات له "أصبح منطق النقل الشفهي وعلم القراءات ومنطق النقل الكتابي من العلوم القديمة التي أدت غايتها ولن يتقدم أحد بإعادة النظر في نتائجها، وتقديم قراءات شفهية جديدة أو نقلا كتابيا جديدا، ما يبقى إذن هو علم التفسير أي فهم النص، والفهم مرتبط بظروف المعرفة في كل عصر" (حسن حنفي، 2014، ص327) فالتأويل والتفسير هو ما أصبح يربطنا بعلوم القرآن في العصر الحديث، تأويلا وتفسيرا يتماشى ومتطلبات الواقع.

## 5. الخاتمة:

نستخلص في الأخير أن قراءة النص الديني ( القرآن الكريم ) جاءت مختلفة بين الجابري وحسن حنفي، فالأول كانت قراءته عقلانية بالرغم أن اهتمامه جاء متأخرا لأنه اهتم في البداية بدراسة الأنظمة المعرفية التراثية المعروفة عنده ب (البيان)، (العرفان)، (البرهان) وهي دراسة من حيث النشأة والتكوين وكذا من حيث البنية ومن حيث العلاقة، كما يمكن القول أيضا أن الجابري لا يعتبر القرآن الكريم تراثا على الإطلاق، وهنا تظهر لنا انتقاداته للقراءات المختلفة للقرآن.

أنتجت قراءة الجابري للقرآن الكريم تفسيرا تكوينيا بنويا في حين أنتج حسن حنفي قراءة ظاهرانية للوحي، فهو يعتبر القرآن بمثابة التجربة الإنسانية العامة، كما أنه ينظر إلى التفسيرات والدراسات التي اهتمت بالقرآن الكريم لا تخرج عن إطار التفسيرات اللغوية، بناء على ذلك يبرر لنا النتائج التي وصل إليها من خلال دراسته للقرآن، أنه نص قابل للمساءلة لأنه جزء من التراث، كما يمكننا القول أن مقارنته لعلم أسباب النزول هي مقارنة ماركسية بالدرجة الأولى، ولعل من أبرز الانتقادات التي وجهت لقراءته هو أنه عمل على تحويل الدين إلى ايديولوجيا وهذا باختصاره في مجموعة من الأبعاد الاجتماعية التي نزعته عنه صفة القداسة، وهذا خاصية المنهج الفينومينولوجي والفلسفة

الماركسية والدراسات الهرمنيوطيقية، وهي كما يرى الكثير من الدارسين مناهج لا تتوافق مع قراءة القرآن الكريم.

## 6. قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، دار النشر المغربية، المغرب، 2007.

3- محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم، دار النشر المغربية، المغرب، 2009

4- محمد عابد الجابري فهم القرآن ، المغرب دار النشر للنشر، 2008.

5- محمد عابد الجابري فهم القرآن ،دار النشر للنشر، المغرب، 2008.

6- و جيه قانصو العقلانية و النهضة في مشروع محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة

العربية، بيروت 2012.

7- حسن حنفي ، الوحي والواقع، مؤسسة هنداوي ،المملكة المتحدة، 2021

8- حسن حنفي، من النقل إلى العقل - علوم القرآن ( من الحامل إلى المحمول) الهيئة

المصرية العامة للكتاب، مصر، 2014

9- إدريس الإدريسي: الوحي في ضوء المنهج الفينومينولوجي عند حسن حنفي، مجلة أنساق

المجلد 6 العدد 1، 2022، جامعة قطر